

تفسير البغوي

175 - قوله تعالى : { واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها } الآية اختلفوا فيه قال ابن عباس : هو بلעם بن باعوراء وقال مجاهد : بلعام بن باعور وقال عطية عن ابن عباس : كان من بني إسرائيل وروي عن علي بن أبي طلحة و أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين وقال مقاتل : هو من مدينة بلقا .

وكانت قصته - على ما ذكره ابن عباس و ابن إسحاق و السدي وغيرهم - أن موسى لم قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتي قوم بلעם إلى بلعم - وكان عنده اسم إ الأعظم - فقالوا : إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير وأنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها ببني إسرائيل وأنت رجل محاب الدعوة فاخرج إ أن يردهم عنا فقال : ويلكمنبي إ ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من إ ما أعلم وإنني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي فراجعوا وألحوا عليه فقال : حتى أؤامر ربى وكان لا يدعوه حتى ينظر ما يُؤمر به في المنام فآمر في الدعاء عليهم فقيل له في المنام لا تدع عليهم فقيل له في المنام لا تدع عليهم فقال لقومه إنني قد آمرت ربى وإنني قد نهيت فأهدوا إليه هدية فقبلها ثم راجعوه فقال : حتى أؤامر فآمر فلم يحز إليه شيء فقال : قد آمرت فلم يحز إلى شيء فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتنا له متوجها إلى جبل يطلعه على معسكر بني إسرائيل يقال له حسبان فلما سار عليها غير كثير رفضت به فنزل عنها فضربها حتى إذا أذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى رفضت ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى رفضت ضربها حتى أذلقها أذن إ لها بالكلام فكلمته حجة عليه فقالت : ويحك يا بلعم أين تذهب بي ؟ ألا ترى الملائكة أما مي تردني عن وجهي هذا ؟ أتذهب بي إلىنبي إ والمؤمنين تدعو عليهم ؟ فلم ينزع فخل إ سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرف به على جبل حسبان جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشيء إلا صرف إ به لسانه إلى بني إسرائيل فقال له قومه : يا بلعم أتدري ماذا تصنع إنما تدعو لهم إ به لسانه إلى بني إسرائيل فقال له قومه : يا بلعم أتدري ماذا تصنع إنما تدعو لهم علينا ؟ ! فقال : هذا ما لا أملكه هذا شيء قد غالب إ عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم : قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة فلم يبق إلا المكر والحيلة فسامك لكم وأحتال جملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن إلى المعسكر يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فإنهم أن زنا رجل واحد منهم كفيتهم لهم ففعلوا فلما دخل النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى بنت صور برجل من عظماء بني إسرائيل

يقال له زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام إليها فأخذ بيدها حين { أعجبه جمالها } ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى فقال : إني أطنك ستقول هذه حرام عليك ؟ قال : أجل هي حرام عليك لا تقربها قال : فوا لا أطريك في هذا ثم دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله الطاعون علىبني إسرائيل في الوقت وكان فنحاص بن العizar بن هارون صاحب أمر موسى وكان رجلا قد أعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس ببني إسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحيته وكان بكر العizar وجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أصاب زمري المرأة إلى أن قتلها فنحاص فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفا في ساعة من النهار فمن هنالك يعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه إياها بذراعه وإنساده إياها إلى لحيته والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لأنه كان بكر العizar وفي بلעם أنزل الله تعالى { واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا } الآية .

وقال مقاتل : إن ملك البلقاء قال لبلعام : ادع الله على موسى فقال : إنه من أهل ديني لا أدعه عليه فتحت خشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليبدعه عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان ووقفت فضربها فقالت : لم تضربني ؟ إني مأمورة وهذه نار أما مي قد منعتني أن أمشي فرجع وأخبر الملك فقال : لتدعون عليه أو لأصلببنك فدعا على موسى بالاسم الأعظم : أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى : يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه ؟ فقال : بدعاء بلعام قالم : فكما سمعت دعاءه على فاسمع دعائي عليه { فدعا موسى عليه السلام } أن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان فنزع الله عنه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامه بيضاء فذلك قوله { فانسلخ منها } .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي وكانت قصته : أنه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسلا رسولا فرجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل : قتلهم محمد فقال : لو كاننبيا ما قتل أقرباءه فلما مات أمية أتت أخته فارعة إلى رسول الله فسألها رسول الله عن وفاة أخيها فقالت : بينما هو راقد أتاه آتيان فكشفا سقف البيت فنزلها فلما فُقد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : أوعى ؟ قال : وعي ل قال : أزكي ؟ قال : أبي قالت : فسألته عن ذلك فقال : خير أريد بي فصرف عنِي فغشى عليه بما

افق قال : .

(كل عيش وإن تطاول دهرا ... صائر مرة إلى أن يزولا) .

(ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في قلال الجبار أرعن الوعولا) .

(إن يوم الحساب يوم عظيم ... شاب فيه الصغير يوما ثقيلا) .

ثم قال لها رسول A [أنشدبني من شعر أخيك فأنشدته بعض قصائده فقال لها رسول A : آمن شعره وكفر قلبه] فأنزل A { واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها } الآية .

وفي رواية عن ابن عباس : أنها نزلت في البسوس رجل من بني إسرائيل وكان قد أعطي له ثلاثة دعوات مستجابات وكانت له امرأة منها ولد فقالت : اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة مما تريدين ؟ قالت : ادع A أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل فدعا لها فجعلت أجمل النساء في بني إسرائيل فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الزوج ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتنان فجاء بنوها وقالوا : ليس لنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بها ادع A أن يردها إلى الحال التي كانت عليها فدعا A فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات كلها والقولان الأولان أظهر وقال الحسن و ابن كيسان : نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي A كما يعرفون أبناءهم .

وقال قتادة : هذا مثل ضربه A لمن عرض عليه الهدى فأبي أن يقبله فذلك قوله { واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا } قال ابن عباس و السدي : اسم A الأعظم قال ابن زيد : كان لا يسأل شيئا إلا أعطاه وقال ابن عباس في رواية أخرى : أötti كتابا من كتب A فانسلخ أي : خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدتها { فأتبעה الشيطان } أي : لحقه وأدركه { فكان من الغاوين }